اما سلوك رجالنا فقد كان مثاليا . من ناحية اخرى لم نسجل الا خسارة واحدة ، رقيب قتل برصاصة قناص . عادت فرقتان في ١٤ ايلول . وفي ٢٩ منه غادر اخر رماة البحرية الاراضي اللبنانية ، تاركين وراءهم ٧ الاف جندي من المشاة . أما المظليون فقد غادروا في ٤ تشرين الاول . واستمر هذا الانسحاب التدريجي الى ان انتهى في ٢٥ تشرين الاول . قدرت تكاليف هذه العملية التي دامت مئتي يوم بمئتي مليون دولار . والحديث على الناحية المالية يذكرني بمداعبة السفير التركي سندت دولجر عندما اعلن عن رضاه التام عن المبادرة الاميركية ، لكنه لاحظ ان الكلفة كان يمكن ان تكون اقل لو قامت الولايات المتحدة برشوة جميع اللبنانيين .

في ذلك الوقت ، ومن اجل تسهيل عملياتنا ، انحصر التدخل بالاميركيين ، رغم أن الانكليز كانوا قد انزلوا ٢٥٠٠ مظلي في المملكة الهاشمية المجاورة في الاردن ، كما ايدنا الاسطول البريطاني في المتوسط ، ووضع قواعده في قبرص تحت تصرفنا . اما الولايات المتحدة ، فكانت تمد القوات البريطانية الموجودة في الاردن ، عن طريق الجو ، بالتجهيزات اللازمة من مواد غذائية وعتاد . كما ابقينا على الاتصالات الوطيدة مع حلفائنا الفرنسيين ، واعين لحقيقة نفوذ فرنسة في الشرق الاوسط . وكان السفيران البريطاني ميولتون والفرنسي روش ، يتمتعان بمعرفة عميقة باحوال البلد ، ولم نكن نتمنى استقبالا افضل من الذي قدماه لنا . وقد بعثت الحكومة الفرنسية بالسفينة « دوغراس » لاظهار تضامنها . لكن الاميركيين ، مع تقديرهم لهذه الخطوة رأوا ان الظروف غير مناسبة لهذه الخطوة . اذ ان وجود الفرنسيين يهدد باثارة غضب المسلمين المؤيدين للانتفاضة الجزائرية . وقد توصل السفير روش بلطف كبير الى الاتفاق مع الاميرال جوزان على ترحيل السفينة «دوغراس» قبل ان تعلم اذاعة دمشق بوجودها.

لقد احدث التدخل الاميركي في لبنان اشاعات مجنونة في الشرق الاوسط بأسره . واعتبرت وزارة الخارجية انه من الضروري تطمين بعض رؤساء الدول المجاورة . فتلقيت تعليمات بضرورة القيام بجولة دبلوماسية قبل الرجوع الى واشنطن . وكان من ضمن اهداف هذه الجولة اقناع الرؤساء ، بان تدخلنا سيؤدي الى الاستقرار في الشرق الاوسط . كما اوكلت الي مهمة دراسة مشاكل اخرى ، والتاكد من ازدياد نفوذنا بشكل ملحوظ في هذا الجزء من العالم

بعد انتهاء مهمتي في لبنان ، قمت بزيارة الاردن ، اسرائيل والعراق . اعلمني سفير مصر قبل مغادرتي بيروت ، ان الجمهورية العربية المتحدة ستكون سعيدة باستقبالي في القاهرة كي اقابل الرئيس عبد الناصر . وصول رماة البحرية الاميركيين كان قد فاجأ ناصر ، الذي كان يعتقد حتى الان ان الولايات المتحدة غير قادرة على تقديم اية مساعدة عسكرية لبلد صديق بمبادرتها الخاصة ، وانها لا تصلح سوى للخطابة في الامم المتحدة . عندما جرى انزال القوات الاميركية ، كان ناصر مع الماريشال تيتو في يوغوسلافيا . فاستقل الطائرة فورا الى موسكو ، وذلك في سبيل حث الروس على الرد واظن انه غير رأيه حول التأييد والحماية الروسيتين حين رأى ان آماله لم تتحقق. فنجاحنا في مظاهرة القوة هذه ، التي نجحت بمهارة ودون خسائر ، كان له مفعول ايجابي على ناصر بوصفه عسكريا محترفا .

في مطار القاهرة ، استقبلني ريمون ا. هير سفير الولايات المتحدة ، ومجموعة من الصحفيين المصرين المتوتري الاعصاب الذين طرحوا اسئلة بالغة الاحراج . كان هير زميلا قديما في السلك الدبلوماسي . اخذني بالسيارة الى مقر السفارة الاميركية حيث زارني احد معاوني ناصر ، في سبيل تحديد برنامج محادثاتنا خلال المقابلة التي عين موعدها في الحادية عشرة من صباح اليوم التالي . ثم اتصل بي هذا الموظف الكبير هاتفيا ليؤكد لي ان برنامج المحادثات قد قبل . غير انه اتصل بي في السابعة من صبيحة اليوم التالي ليخبرني انه خارج لتوه من مقابلة عاصفة مع الرئيس عبد الناصر ، وانه يريد ان يراني فورا . كان ناصر يستفيق عادة متاخرا في الصباح . غير انه استفاق هذا اليوم باكرا ، ليقرأ تقريرا من نيويورك حول الخطاب الذي القاه هنري كابوت لودج رئيس الوفد الاميركي في الامم المتحدة